

في بغداد.. مؤتمر قمة بلا هدف!

حسن إسميك
كاتب ومفكر عربي

لا أعرف صراحة ما الاسم الذي يمكن أن نطلقه على مؤتمر بغداد الذي عقد صباح السبت الثامن والعشرين من أغسطس الجاري، فقد سُمي بداية "مؤتمر الجوار العراقي"، لكن سوريا أهم دول هذا الجوار غائبة، ومثلها لبنان؛ وسماه آخرون بالمؤتمر الإقليمي، لكن حضور الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أقد هذه الصفة، دون أن يكون الحضور الفرنسي قادراً بفرده على تحويل هذا المؤتمر إلى مؤتمر دولي، خصوصاً في غياب ألمانيا والولايات المتحدة أكبر جهتين مانحتين للتنمية في العراق. وأخيراً تم تغيير الاسم إلى "مؤتمر بغداد للتعاون والشراكة"، بكل ما في ذلك من إبهام.

ولكن هل السؤال عن اسم المؤتمر بهذه الأهمية؟ نعم.. لأنه يحدد الهدف من انعقاده، خاصة وأنه لم يتم مسبقاً وضع جدول أعمال واضح، بل ولم يتم تحديد أي محاور أساسية سيجري عرضها أو نقاشها أو الاتفاق بشأنها في المؤتمر، إن فالهدف العام من وراء قمة بغداد هذه، وببساطة شديدة، غير موجود!

"العراق يستضيف اجتماعاً إقليمياً يهدف إلى تخفيف التوترات في الشرق الأوسط"، هذا ما عنوانته الإندبنت، لكن هل لدى العراق القدرة حقا على لعب دور الوسيط الإقليمي واستعادة

أي ثقل كان له في المنطقة سابقاً، يعلم الجميع أن الجواب حالياً هو "لا". ومع ذلك، ومع أن المؤتمر محكوم بالفشل قبل أن يبدأ، وأن العراقيين "مستغربون" - في أحسن الأحوال - من دواعي تكبد حكومتهم تكاليف باهظة لعقد مؤتمر تستضيف فيه دولاً أنت العراق ولا تزال تهدد أمنه واستقراره ووحدة شعبه، بل وتهديد الأمن الإقليمي بالعموم. ولكن ربما تعد هذه التكاليف الباهظة لدى رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي ثمناً لا بد من دفعه، خاصة وأنه أصر على جمع ما لا يمكن جمعه، وله من وراء ذلك أهدافه وتطلعاته الشخصية.

يريد الكاظمي أن يظهر بمظهر رأس الإقليمية التعاونية، لكن ليس الأجدى به في هذه المرحلة بالذات أن يسعى إلى ترتيب البيت العراقي الداخلي أولاً، خاصة في ظل التوترات والمخاوف الأمنية التي يشهدها الإقليم والمنطقة العربية، والعراق في مقدمتها، نتيجة الفشل الاستراتيجي الأميركي الذي انتهى إلى خروج القوات الأميركية من أفغانستان، والفرغ الذي تركته خلفها لتمام حركة طالبان، ومعها تنظيم القاعدة وداش الإرهابيين. إلا يجب على الكاظمي - إذا أراد فعلاً أن يكون قائداً إقليمياً - أن يكون مستعداً لسيناريو مماثل خاصة أن لدى القيادة الأميركية نية الانسحاب الواضحة، ناهيك عن أن العراق لا يفتقر للتنظيمات الإرهابية من كافة المكونات، وبعضها يلعب أدواراً كبرى في تعزيز الظلميات

الطائفية، ما قد يعني إمكانية تاجيح الصراع المذهبي في العراق بكل سهولة؛ ثم كيف للكاظمي أن يفكر بالدور الإقليمي، دون أن يتجرا ويأخذ على عاتقه زمام المبادرة في دعوة سوريا إلى المؤتمر، علماً أنه من مؤيدي عودتها إلى الحضيرة العربية وإلى جامعة دولها. كما أن اختيار الدول العربية الحاضرة في المؤتمر يُظهر تطلعات الكاظمي وجهوده لتصوير العراق "تحت ولايته" كلاعب إقليمي مستقر، وله قواسم مشتركة مع دول مثل مصر والخليج أكثر من لبنان وسوريا وليبيا. لكن العراقيين أنفسهم يدركون أن ذلك غير صحيح، وأن المشكلات العراقية الداخلية أكثر تعقيداً من أن يجري تغطيتها بمؤتمر، بغض النظر عن ثقل وأهمية المشاركين في جلساته. يريد العراقيون مؤتمراً يركز على القضايا المحلية الملحة المتعلقة بإمدادات المياه، ونقص الكهرباء، والحرائق في المستشفيات، وتبعات كوفيد - 19، والفساد، والمحسوبيات والمحاصصة الطائفية، يريدون حلاً لموضوع الفصائل المسلحة والتنظيمات الإرهابية من قبيل داعش وأخواتها، مع ضمان ألا تعود هذه الجماعات إلى الظهور والانبعث بمجرد خروج الأميركي من العراق على شاكلة ما يحدث في أفغانستان اليوم. لا يمكن للعراق أن يبدأ في معالجة قضايا السياسة الخارجية الإقليمية إلا بوجود مشهد سياسي داخلي مستقر، مهما ادعى الكاظمي عكس ذلك.



وهو المتمتع بدعم دولي كبير، إلى مسرحية دبلوماسية عالمية أبطالها رؤساء وزراء خارجية وسياسيون رفيعو المستوى يقدم نفسه كواحد منهم. لقد وصل الكاظمي إلى السلطة دون انتخابات، ويؤكد دائماً أنه لن يشارك في الانتخابات المقبلة، ويأمل من استعراض المكانة الدولية هذا أن يستعمل النخبة السياسية في العراق وفي الإقليم، ليثبت للعراقيين مجدداً أن أكبر أسباب خيبة أملهم واغترابهم السياسي ما يزال قائماً، وهو أن السلطة في البلاد تسلمت من خلف الأبواب المغلقة وليس بحسب أصواتهم في صناديق الاقتراع.

والأميركية على وجه الخصوص، والتي تحاول استرضاء طهران وتقديم كل التنازلات التي تضمن عودتها إلى الاتفاق النووي، دون اكتراث بما لذلك من عظيم الأثر على العراق خاصة، وعلى دول الجوار العربية بشكل عام. وأخيراً وكما لا تتجاهل "الفيل الذي في الغرفة"، أي الأمر الواضح الذي لا أظنه خافياً بعد على أحد وهو توقيت المؤتمر قبل نحو شهر ونصف من الانتخابات الفيدرالية العراقية، ولأن الكاظمي - الساعي إلى تأمين ولاية ثانية لنفسه - غير قادر على تقديم "أوراق اعتماد" للعراقيين مبنية على إنجازات داخلية، ويعمد اليوم،

ربما جمع هذا المؤتمر السعوديين والإيرانيين على طاولة واحدة، أو التقى من خلاله الوفدان المصري والتركي، أو تصافح ممثلاً الإمارات وقطر، وهذا كله قد يكون جيداً إلى حد ما، لكنه لا يزال بعيداً عما يحتاجه العراق، لذلك فإن أي نجاح لأي دور إقليمي يأمل الكاظمي أن يلعبه، أو أي مكانة يمكن أن تستعيدوها البلاد، مرهون أولاً وقبل كل شيء باستقلالية القرار الوطني العراقي، وتحرره من أي تدخلات إقليمية تفرض عليه بقوة السلاح غير الشرعي، لكن هذه الاستقلالية تكاد تصبح حلماً بعيد المثال نتيجة السياسات الدولية،

لا نتائج مثمرة لقمة بغداد

شؤونه، لكنها لم تلغ فكرة أن ما يحدث في جمهورية المنطقة الخضراء لا علاقة له بجمهورية العراق التي تدعم فيها الخدمات وتعمها البطالة وتعيث فيها الميليشيات فساداً، وكلها أمور مازالت تحدث في العلن وفي الخفاء!

على مدى عامين سعى العراقيون إلى قطع يد إيران وميليشياتها في العراق، وإلى الكشف عن القتلية وضرب الأحزاب والجماعات المسلحة الموالية لإيران داخل العراق، وتحقيق مطالب المحتجين بخدمات تحقق للعراقيين عيشاً كريماً. شكل الحديث عن انعقاد القمة فرصة للشعب العراقي ليعيش الحلم ويبنى الأمل، لتكشف القمة زيف هذه الأحلام والأمال ويتبين أنها مجرد أوهم لا غير.

والسوء أن يحدث هذا في ظل أوضاع لا تبشر بالخير في أفغانستان، والخوف العراقي من تكرار التجربة الأفغانية، التي قد تعني سيطرة مطلقة للميليشيات الموالية لإيران وبالتالي لحكومة الولي الفقيه على العراق. الشعب العراقي يعيش عصر الأوهام السياسية والتخلف، وقد أتت بنوعين من الأوهام، الوهم الأول يكمن في حكومة نزيهة وعادلة وتحقيق الأمن وينهي فصلاً طويلاً من الجرائم والاعتقالات والسرقات والمنازعات العشائرية. وهو وهم عاشه العراقيون منذ عام 2003.

الوهم الثاني هو الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولا يزال حلم الشباب قائماً بدولة ديمقراطية حديثة راسخة بعيداً عن الأحزاب الفاسدة ونظام المحاصصة.

الصور التي صدرت عن قمة بغداد أثار مشاعر جياشة لدى العراقيين المتشوقين لرؤية بلادهم طبعياً يتمتع بسيادة العراق بعيداً عن التدخلات الخارجية.

يعني أن العراق لا سيادة له على أرضه، ولا قيمة للقمة التي استضافت خصوصاً إقليميين يفضلون عراقاً ضعيفاً.

ويمثل لعب دور الوسيط تحدياً للعراق في ظل النفوذ الإيراني، فيما لا تزال الدولة تبدو عاجزة عن تلبية الاحتياجات الأساسية لمواطنيها، والسبب في ذلك هو تواجد الميليشيات والسلاح المنفلت وصفقات الفساد التي يجربها سياسيون تابعون للكتل الحزبية.

وجاء تجاوز وزير خارجية إيران لمقررات القمة موجها رسالة إلى الأميركيين مفادها أن قضية اغتيال قاسم سلیماني لا تزال على رأس أولويات إيران ليؤكد عدم جدوى القمة، وإن لم تحمل تصريحاته تهديداً عسكرياً انتقامياً، بل أكدت على "المتابعة القانونية الدولية لحادثة الغتيال"، وهي إحدى المهام المدرجة في أعمال وزارته.

الحادث شكك بأهمية القمة لتصبح مجرد حضور لا ينتظر من وراءه تحقيق أي أهداف مستقبلية.

ولم يستطع الكاظمي، الذي كان يطمح من وراء القمة إلى تحسين شراكة بلاده مع دول الجوار ووقف الحروب بين الدول الحاضرة للقمة، وقف تكثيف الميليشيات التابعة لإيران من تواجدها داخل الأراضي العراقية. ولم تتحقق الوعود والأمل الكبيرة، التي بناها المجتمع العراقي، بقيام حكومة قوية تحقق سيادة العراق بعيداً عن التدخلات الخارجية.

يأس اللاعودة المبكر

عبد اللطيف الهجول
إعلامي عراقي

عندما كان في بغداد، مع أن المسافة من عمان ودمشق إلى بغداد لا تتطلب أكثر من رحلة أقل من نهار في السيارة.

لقد جسدت قطيعة عراقيين مع العراق حقبة أجيال من المهاجرين، بمن فيهم من كان يمارس دور الضحية من النظام السابق، فلا أحد من هؤلاء تخلى عن أمانته الشخصية وفرط بكرامته المستعادة في بلدان المهجر ليعود إلى بلد كان يهين فيه رجل الأمن الناس في الشارع وتحول في ما بعد إلى بلد يغتال فيه الميليشياوي الطائفي الناس أمام بيوتهم.

هنا، من الأهمية بمكان التذكير بمن حسم أمره في اتخاذ قرار اللاعودة إلى عراق الأوس مع أنه لم يتخل في قرارة نفسه عن عراقه الخاص أو الذي يتنمائه ويصنعه في مخيلته، وهم نسبة كبيرة من ملايين المهاجرين العراقيين.

لا يمكن، وفق أي حال من الأحوال، التشكيك بوتنية هؤلاء الملايين من العراقيين، كما أن نسبة كبيرة منهم مخلصه لقيم البلدان التي أعادت لهم الكرامة المسلوقة ومنحتهم فرص الحياة والتعليم والابتكار والتفكير والاندماج في مجتمعات مختلفة "دعك ممن ظلوا يعيشون على الهامش ولم يتعلموا بعد سنوات طويلة لغة البلاد التي أوتهم لأنهم لا يعبرون إلا عن تخلفهم سواء كانوا في العراق أو خارجه".

أبناء هذا الجيل الأخير من المهاجرين يكاد يشكل أولاده جيلاً آخر لا يمت بصلة لعراق 2003، وربما نسبة كبيرة منهم لا يتحدثون العربية. حيال ذلك توجد دعوات أفضل ما يمكن وصفها بـ"المضحكة" من قبل أطراف في الحكومة العراقية أو في الأحزاب المستحوذة على السلطة تنصح العراقيين بالعودة لخدمة بلادهم؛ لكن لا أحد من المهاجرين يعبر أهمية لهذا الكلام العبيث عن الوطنية، بمن فيهم من يضع قدمين واحدة في العراق وأخرى في بلد المهجر تحت ذرائع مختلفة أغلغها كاذبة.

العراقيون في بلدان العالم، لا يمكن أن ينتزعوا جلد عراقيتهم مهما فعلوا، ليس لأنهم لا يريدون ذلك، بل لأنهم لا يقدرون على ذلك، فمجرد أن تمر على أسماعهم أغنية من تلك البلاد المتأسية على مستقبلها تفتح سواقي الدموع، ولأنهم يعيشون اليأس من مستقبلها اختاروا اللاعودة، مقاومين موجات الحنين.

لقد أضحت الكلام الذي كان شائعاً في عقود سابقة عن العراقي المهاجر المصاب بمرض "هومسك" مجرد كلام فلكلوري فارغ أمام فشل سياسي واقتصادي مستمر في تلك البلاد التي نحبها وتزدرينا!

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدباجي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

